

طاغية من طغاة الغرب فيهدمها كلها بطلقة واحدة من مدافعه ، وترجع بالنالم إلى الوراء عشرين قرناً ، ولا يجد من يأخذ على يده ، وينصف الانسانية منه ؟

أيها طاغية روما بكل المبادئ التي يقدمها للبشر ، ويدوسها بقدميه وأقدام جنوده ، ويستبد أمة بكاملها لم تستبد منذ فجر التاريخ ؛ ثم يعصى هؤلاء (المثلون) في طريقهم إلى (مسررح جنيف) ليمثلوا عليه بقية المهزلة ... هذه المهزلة الدامية التي كان أول ضحاياها عظمة الفكر البشري ، وجمال الحضارة الحاضرة ، ومبادئ جمية الأمم ؟

ارجعوا يا هؤلاء ، ارجعوا إلى بلادكم ، قد تمزق الستار وبدت من خلاله الوجوه المصطنعة واللحي المستعارة والسيوف الخشبية ؛ ورأى الثقلان أن (جبار جنيف) لم يكن إلا صنما من أعواد ، أقامه الأقوياء ليخدعوا به عباد الأصنام من الأمم الضعيفة ، عن حريتها وحققها ومالها

ارجعوا فأظهروا أنيابكم التي سترتموها ، وأظافركم التي أخفيتموها ... ما أنتم أيضاً إلا ذئاب

أما أنت أيها الأمبراطور الحبشي العظيم ، أيها الجندي المجاهد الشريف ، قتمز وأصبر وارقب ، فليس مع خصمك إلا الحديد والنار ، ولكن العالم كله معك ، والقلوب كلها تحفك بحبك ، وبغض عدوك . إن الحب والبغض هما أقوى سلاح في الوجود ، وأنها إذا لم يقوما اليوم للدفع والطيارة ، فلن يقوم لها غدا طيارة ولا مدفع ، وإن خصمك يستطيع اليوم أن يخطف فيصيح ويفخر ويهدد ، ويستطيع أن يجرّد الجيوش ، ويسير الأساطيل ، وبطلق المدافع ؛ ولكنه لا يستطيع أن يصنع السم الذي يسم به الفلك ، فيقفه عن الدوران ، ولو جمع له كل حديد الأرض . إن الفلك يدور أبداً ، فيقوى الضعيف ، ويضعف القوي ، ويشب الطفل ، ويهرم الشاب ، ويرتفع من كان في الحضيض ، ويهبط من كان في الأوج ؛ فاصبر وارقب إنك لم تجبن ولم تفر ، وقد أعذرت إلى أمتك ونفسك وإلى التاريخ ، فما ألوت في الجهاد جهداً ، ولا ادخرت عنه أبداً ، وكأني أنظر اليك الآن وقد في كنت دارة عرشك ، وقرارة

فضيحة القرن العشرين !

[قطعة مهداة إلى جلالة الأمبراطور العظيم
« نزيل فلسطين »]

للأستاذ علي الطنطاوي

... حق صريح يسان في عصور الظلام ، وأمة آمنة تسلّم في قرون الجهل ، أفيُعبث بهذا الحق في القرن العشرين ، قرن العلم والنور ... ويُمتدى فيه على هذه الأمة ، فتسرق أرضها وحريتها وسماواتها ؟

يا لفضيحة القرن العشرين ! ... يا لضيعة المبادئ الانسانية ! يا لخيبة العلماء والأدباء والأحرار ... يا لافلاس الحضارة الغربية .. يا للعار على الفكر البشري !

أبني المدارس ، وافتح المعاهد ، وتنشأ المحاكم ، لتبث مبادئ الحق والخير والفضيلة ، وتعمل على ذلك دهوراً ، فيأتي

ولقد فاني أن أذكر أن الشيخ رشيد زيد الذي مرّ ذكره مع طبقة الشعراء المجيدين في الفصحى ، ليحسن نظم الشعر البدوي . وقد أتيج لي أن أسمع له قصائد رائعة ، وعالية النفس في هذا النوع من الشعر ، يعارض في بعضها قصائد مشهورة كاليتيمة وغيرها

والخلاصة أن الحياة الأدبية في شرق الأردن مثيلة ضعيفة إذا ما قورنت بغيرها من الأقطار العربية ، على أن سيرها في مضامير النشوء والتطور على هذا الشكل المدهش ليدعو إلى التفاؤل الشديد . وأما لا أشك في أنه سيأتي يوم تصبح فيه شرق الأردن بفضل هذه العوامل المختلفة التي بسطناها ، وبفضل غيرها ، حية بأدبها ، وغنية بأدبائها . ولا بد قبل الختام من الاعتراف بقصر رغدان من فضل كبير في تنشيط هذه الحياة الأدبية ؛ فقد كان ولا يزال يحذب على الأدب ، ويؤازر الأدباء ، ويشرق على نفوس الشباب بالنور والحياة

واحد يمشي على أرض الحبشة ، ويسمع صراخ الأجداد من أعماق
الثرى . . . وأعلى السماء . . . تدعوه إلى إنقاذ رفاتهم من نعل
الأجنبي الناصب أن يطأها ويمسح بها ؛ وإن الغالين قد يملكون
اليوم الساكر والقرى ، وينشئون القلاع والحصون ، ولكنهم
لن يمتلكوا القلوب ، ولن ينشئوا فيها الحب ، وهامى ذى
طرابلس ، بل هذه هى الأندلس :

ألم تسمع أيها الإمبراطور باسم الملك الطريد أبى عبد الله
الصغير ، ذلك الذى كان ملك الأندلس ، وسيد غرناطة ، وصاحب
الحجاء ، سليل الملوك الذين جعلوا الأندلس جنة الدنيا ، ومدرسة
العالم ، ومشرق أنوار الحضارة ؟ لقد خدعوه كما خدعوك ، فأعطوه
المهود والموائيق ، وأقسم عليها ملوكهم وصادتهم ، وشهد بها
أعظمهم وأشرافهم ، وصدق عليها البابا أمين دينهم وسيدهم على
أن يدعوا له قصوره ودوره وأمواله وجواهره ، وحكمه وسيادته ،
وعلى أن يتركوا قومه أحراراً فى عبادتهم وبيوتهم ومعاملاتهم
وتجارهم ، وأن يكفلوا لهم راحتهم وهناءتهم وأموالهم وأمتعتهم ؛
فلما ملكوا أخرجوا الملك من أرضه وبلاده ، فرأى لآخر مرة
شرف الحجاء ، وجنان العريف ، وجبل شلير ، ثم مضى تتغفل
به السفينة فى أمواج البحر ، وصورة الأندلس تنأى وتبتعد ،
حتى توارت وراء الأفق ، فخرجت من حيز الواقع لتدخل فى
حيز الذكرى ، ولتكون أمنية فى نفس كل مسلم ، يوصى بها
السلف الخلف ، ويأخذ منه المهد على استرجاع « الفردوس
الاسلامى المفقود » ، وعمدوا إلى مسلمى الأندلس ، فأخذوا
مساجدهم ، وأحرقوا مكاتبهم ، وفيها ثمره العقول البشرية منذ
مطلع التاريخ إلى ذلك المهد ، ليتهاوا بأمهيتها فى ليالى انتصارهم ،
وأنشأوا لهم محاكم التفتيش لتدخلهم فى النصرانية قسراً ، وتجرقهم
أحياء ، وتعذبهم عذاباً لا يتخيله إنسان . . .

وهام أولاء الأندلسيون بعد أربعائة وخمسين سنة ، وبعد
احتمال أهوال لا يحتملها بشر ، وبعد أن تنصروا جميعاً ، لا يزالون
ذاكرين عريبتهم معتزين بها ، ولا يزالون يحاولون الرجوع إلى
الأم العرية الكبرى ؟

أقلين الحبشة التى لم تزل عزيزة ، وتندمج فى الطليان فى
أبام معدودات ؟

* * *

ملكك ، وموطن شعبك ؟ وكنت آمنًا مطمئناً ، تتعهد بذلك
بالاصلاح ، وأمتك بالتهذيب والتعليم ، فا راعك إلا صوت
الصريح تدوى به أروقة القصر ، فهبيت مذعوراً - وما كنت
بالذى يدعى أو يضطرب - واستخبرت الخبر ، فعلمت أنه
الموت قد حمله التمدنون إلى بلادك ألواناً ، نجفت إلى هؤلاء
المعتدين تسألهم ماذا يريدون ؟

- قالوا : نريد بلادك فاخرج منها ، أو فابق فيها عبداً
لنا وخادماً !

- قلت : وأى ثار لكم عندى ، وأى عداوة بينى وبينكم ؟
أهى أن جاء قوم منكم منذ حين يريدون قتلنا ، فرددناهم عنا ؟
أليس لنا أن ندافع عن أنفسنا ؟

- قالوا : صه ! أنت متوحش . . . أنت متأخر . . .
وقد جئنا لملكك ونعلم شعبك ، ونحمل اليهم حضارتنا ومدنيتنا ،
فاذا أنت لم تسمع وتطع كلناك بلسان البارود والغاز الخانق
والنار والحديد . . .

فتار فى عروقك الدم العزيز الذى لم يذل منذ أثنى سنة ،
فأهبت بجممية الأمم ، وناديت حماة السلام . فلما لم تجد منهم
مجيئاً ، صرخت فى شعبك أن خذوا السلاح وتأهبوا للموت ،
فان فى الديار لصوصاً متمدين ، من أحفاد كافور وغاريبالدى
ودانتى ورفائيل . . . يريدون أن يسرقوا حياتكم وحريتكم
وبلادكم !

فهبوا للنضال . . . ولكم سقطوا شهداء ، أمام وحشية
المدنية ، وجهالة العلم ، وذئبية الانسان :

* * *

لا ! إنك لم تنهزم ولم تغلب ، ولكن غلبت البداى يا أيها
الإمبراطور العظيم ، وأهزمت الفضيلة ، وديس الحق ، وأفلست
مدنية القرن العشرين !

إنك لم تنهزم ، وإن الطليان لم يمتلكوا أرض الحبشة ، لأن
المصر عصر الأمم لا عصر الملوك ، وقد استسلمت أنت مرغماً
للقضاء ، ولكن استسلامك للقضاء ، وتركك أرضك للأعداء ،
لا يسلم أمتك إلى الفناء . إن هذا الشعب الذى عاش حراً عشرين
قرناً ، لا يستسيغ الاستبداد فى عشرين شهراً ، ولا فى عشرين
سنة ، وإنه سيجاهد ويناضل ويقاوم ويقاقل ، ما بق فيه شخص